الدرس الأول: مدخل إلى القراءات القرآنية: المفهوم والنشأة

أهداف الدرس:

- يتعرف الطالب في هذا الدرس على مفهوم كل من القرآن والقراءة.

-يصير الطالب قادرا على التمييز بين القرآن والقراءة من خلال تحديد مواطن اتفاقهما ومواطن اختلافهما.

- يطلع الطالب على أول ظهور للقراءات القرآنية، وعلى نشأتها، ثمّ تطورها.

الدرس:

مفهوم القراءة: إن القراءة القرآنية والقرآن مصطلحان مترابطان ترابطا شديدا، وللوقوف على مفهوم كل منهما يجب العودة إلى الأصل اللغوي لكلّ منهما.

القراءة لغة: من قرأ يقرأ قراءة، مصدر سماعي بمعنى جمع الشيء وضم بعضه إلى بعض. (ينظر: مختار الصحاح للرازي، مادة قرأ). وقد ورد في لسان العرب: قرأه يقرؤه قرْءا، وقراءة وقرآنا. وكل شيء جمعته فقد قرأته. (ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة قرأ).

القرآن لغة: اختلف أهل اللغة في القرآن هل هو أصل أم مشتق؛ فقيل هو وضع إلاهيّ غير مأخوذ من غيره، وقيل هو مشتق-على غرار القراءة-من الفعل الثلاثي-عند من قال بالأصل الفعلي للاشتقاق-قرأ، ومنه القراءة والقرآن.

القراءة اصطلاحا: وردت تعريفات متنوعة للقراءة القرآنية، لعل أشهرها:

_ هي اختلاف الوحي في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها. (ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي).

_ هي علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله. (ينظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري).

_ هي علم يُعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف، والإثبا، والتحريك، والتسكين، والفصل، والوصل، أو غير ذلك من هيئة النطق، والإبدال وغيره من حيث السماع. (ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر).

_ هي مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت القراءة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها. (ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني).

الفرق بين القراءة والقرآن:

بين القراءة القرآنية-وأعني الصحيحة منها-والقرآن علاقة وثيقة وإن لم يكونا مترادفين. قال الزركشي: " واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان؛ فالقرآن هو الوحي المنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءة هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كِتبة الحروف أو كيفيتها، من تخفيف وتثقيل وغيرها. (ينظر: البرهان في علوم القرآن).

نشأة القراءات القرآنية:

ترجع القراءات القرآنية-من حيث المنشأ-إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. إذ قال: "أُنزل القرآن على سبعة أحرف ". وذلك تيسيرا من الله على عباده لما كانت الحاجة ملحة ليقرأ كلّ بما درج عليه لسانه. وقد كان الخلاف ثابتا بين الصحابة في قراءة القرآن، وكانوا يحتكمون إليه صلى الله عليه وسلّم للفصل بينهم. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئنها رسول الله فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم. فلما سلم لببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها؟ قال أقرأنيها رسول الله. فقلت: كذبت! فو الله إن رسول الله لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله فقلت: يا رسول الله سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنها وأنت أقرأتني سورة الفرقان. فقال رسول الله أرسله يا عمر فقال: أقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها. فقال رسول الله هكذا أنزلت. ثم قال رسول الله: اقرأ يا عمر. فقرأت القراءة التي أقرأني رسول الله. فقال رسول الله هكذا أنزلت. ثم قال رسول الله: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فقرأوا ما تيسر منه. (ينظر، تفسير الطبري).

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه (أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ، قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ:(أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ)، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ:(إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ)، فَقَالَ:(أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ) ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ، فَقَالَ:(أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ)، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا)(رواه مسلم).

لكن مع توسع رقعة الدولة الإسلامية بالفتوحات بدأ المسلمون يخطئ بعضهم بعضا. من حيث قراءة القرآن. وكان حذيفة بن اليمان قد لاحظ ذلك في فتح أرمينيا وأذربيجان فهاله الأمر وحمل إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أن أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى. فعزم الأخير على جمع القرآن بقراءاته الصحيحة وفعل ذلك وفقا لما ثبت في العرضة الأخيرة للرسول صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام.